

مخاض التغيير الاستراتيجي في المشرق العربي

غسان ملحم*

من يراقب المشهد العام في الشرق الأوسط عن بعد وبطريقة متأنية، يستجمع كافة عناصر الاستدلال والتحليل، ويجد أن هذه المنطقة التي يحفل تاريخها بالأحداث الدراماتيكية أو التراجيدية، هي الآن في عين العاصفة أو على فوهة البركان. قد تختلط الأمور على المرء في الشارع وفي قلب الأحداث والمستجدات؛ ففي خضم هذه الفوضى العارمة، وفي ظلّ تسارع التطورات في الميادين والساحات، يجد هذا المرء نفسه أمام كمّ هائل من المعطيات المتقلبة والمتغيرة بوتيرة سريعة والتاويلات والإسقاطات، وما أكثرها، بحيث يصعب عليه تاليا معرفة الحقيقة واستيعاب اللحظة بكل همساتها. هذه هي حال الناس في لبنان وفي سوريا كما في العراق، وكذلك الأردن وفلسطين، وصولاً إلى مصر وحتى دول الخليج. أحد من هذه الدول ليس في موقع صنع القرار أو الحدث لاستشراف المستقبل. ولكنها جميعها أصبحت مسرحاً متواصلًا للمواجهة وتصفية الحسابات والمقارعة والتامر وحتى القمار بمال النفط الخليجي! فما الذي تخفيه الأوضاع الميدانية من حقائق موضوعية في قراءة دقيقة ومسؤولة للمشاهدات والملاحظات حول أزمات وملفات الشرق الأوسط؟ وما الذي تخفيه نفس هذه الأمور الظاهرة للعيان تحت الستار وفي غياب الدبلوماسية والسياسة الإمبريالية وفي مراكز القرار العالمي؟!

ثمة علاقة غير ظاهرة للعيان بين ما حصل في كل من مصر وسوريا والعراق من أحداث أمنية في الميدان الذي تحدث فيه الصراعات الداخلية، وتتقاطع مع ديناميات التدخل الخارجي على خلفية التحريض ونتيجة إثارة القلاقل، مما لا شك فيه خطورة ما يجري بطريقة منسقة ومتزامنة في هذه الساحات الإقليمية الثلاث بالتحديد، لما لها من أهمية مركزية في قلب المنطقة العربية. فالعواصم الثلاث التي تستحضر من ذاكرة التاريخ العربي والإسلامي تجارب الدولة الفاطمية في القاهرة والدولة الأموية في دمشق والدولة العباسية في بغداد، تحتل مكانة متقدمة، بل إن لها دوراً حاسماً في أي مشروع إقليمي يهدف إلى استجماع قوة البلدان العربية وتحفيز العمل المشترك بينها. فالعراق، وكذلك سوريا، كما مصر بطبيعة الحال من الأعضاء المؤسسين لجامعة الدول العربية، وهي دول تتمتع بثقل وازن لا لبس فيه في مختلف المعادلات والتوازنات والمحاور في المنطقة. ما يعني أن التأثير في الحراك الداخلي لهذه البلدان، بمعنى الرهان على التدخل في مجريات الأحداث والتطورات فيها، له بالغ الأثر على بقية البلدان العربية وسائر دول الجوار أيضاً، كما مجمل الانتظام

الرسمي العربي. فلا أحد يمكنه أن يغفل دور هذه الدول الثلاث في قيادة أو تعزيز، وربما تطبيق مبادرات الركب العربي الجماعي إلى التعاون والتحالف. من هذا المنطلق، يلقي تزامن الأحداث الميدانية في مصر وسوريا والعراق بظلاله على كامل المشهد الإقليمي، ويعكس حالة من التخبط العربي، فضلاً عن الأخطار المحدقة بالمنطقة من خلف كل هذه المستجدات الخطيرة.

وفق هذه القراءة، يندرج الحدث السياسي والأمني في هذه الدول الثلاث في إطار إعادة رسم خريطة الشرق الأوسط، وفي سياق إعادة ترتيب الأوضاع الإقليمية على أرضية التغيير الملحوظ في ميزان القوة الدولية بما لا يقبل الشك أبداً. فالهدف من ذلك هو ضرب النظام الإقليمي العربي في الصميم، عبر تقويض مرتكزاته الرئيسية في المعادلة المثلثة الأضلاع، حتى لا تقوم له قائمة بعد الآن. فهذا هو الصراع الداخلي في العراق يمنع إمكانية استعادته للمبادرة والخروج من أزمتته التي خلفها الاحتلال وراه، وما هي الحرب على سوريا تحول دون استمرارها في التوازن الاستراتيجي مع إسرائيل إلى جانب حركات المقاومة ومعها إيران، وما هي الفوضى في مصر جراء الفتنة تطيح فرضية عودتها المنتظرة إلى أداء دور إقليمي بارز ووازن في تجسيد المرجعية القومية وترجيح الكفة العربية. هكذا يبدو انهماك العراق وسوريا ومصر بإدارة المشكلات المتفاقمة في الداخل مؤشراً واضحاً على انكفائها جميعها عن المبادرة إلى التحرك الفاعل والمؤثر في الإقليم، على مستوى السياسة الخارجية والاستراتيجية الدفاعية المستندة إلى العقيدة القتالية في حال حصول أي طارئ أو وقوع محذور أو لحظة الموازنات الإقليمية. علاوة على ذلك، يعكس هذا التخبط الداخلي وجهاً آخر للصراع الدائر في المنطقة لجهة الإحاطة بمشروع التفكيك البنيوي للبلدان القائمة، وهي في الأساس كيانات مصطنعة وليدة الاستعمار والتبعية، بهدف تكوين كيانات طائفية ومذهبية متناحرة في نفس السياق المتعلق بإعادة ترسيم الحدود وصياغة المشهد العام الإقليمي. والهدف هنا هو ضرب محور المقاومة والممانعة في العمق، وخاصة في ما يتعلق بما يجري في سوريا والعراق، ومصر ليست بعيدة البتة عن هذا المخطط، حيث يراد من كل ذلك التصعيد والتأزيم تزخيم مناخات الفرقة والتناحر في ظل التشدد المذهبي والتعصب القبلي، حتى يتسنى لقوى الهيمنة الدولية، القديمة منها والجديدة، تفريق الصفوف وفرز الناس إقليمياً وعرقياً وطائفيًا. هكذا يمكن تحصين موقع إسرائيل في المشهد الإقليمي المتبلور أو المفترض من خلال الولوج في عملية تشكيل الكيانات الفئوية كدولة كردية وأخرى

سنية على أنقاض الوحدة العراقية وعلى حساب الإبقاء على ما بقي من كيان سوريا للفصل ربما بين بغداد وطهران من جهة ودمشق وتحت مظلتها المقاومة اللبنانية والفلسطينية من جهة أخرى. عندها يقتصر

نفوذ الشيعة على دويلة هي الجزء الباقي من العراق، ما يدفع إلى التساؤل عن فرضية انتقال عدوى التقسيم إلى داخل سوريا والجزيرة العربية وربما لبنان! أما مصر التي تبدو فعلاً غير مستقرة، فقد تقطع أوصالها



الصراع الداخلي في العراق يمنع إمكانية استعادته للمبادرة (علي السعدي - اف ب)

تصاعد القلق السعودي

سعد الله مززعانبي*

لعل قيادة المملكة العربية السعودية، هي الآن، الأكثر قلقاً ممّا حملته السنوات الثلاث الأخيرة من أحداث وتطورات. وليس أدل على ذلك من انخراط سلطات المملكة وإعلامها في

حملة متصاعدة ضد نجاحات حركة «الإخوان المسلمين»، وخصوصاً في كل من مصر وتونس وفي كل مواقع «الربيع العربي»، وما رافقها من مخاطر وما يعدّ بها من متغيرات بعضها دراماتيكي. ويزيد من قلق سلطات السعودية أن صعود

حركة «الإخوان المسلمين» قد تمّ بتشجيع أميركي إثر صفقات سياسية من شأنها، على مستويات عدة، النيل من دور المملكة «التقليدي» في احتكار «الصدّاقة» مع الولايات المتحدة الأميركية، واحتلال الصدارة في مشاريعها ومخططاتها. لا شك أن هذا القلق موصول، أيضاً، بمسار في علاقات السعودية مع الإدارات الأميركية، يعود إلى عام 2001، أي عام التفجيرات التي استهدفت بواسطة تنظيم «القاعدة»، مواقع اقتصادية وأمنية حساسة في الولايات المتحدة الأميركية. يومها أشير في التقارير والتحقيقات الأميركية إلى البيئة الرسمية السعودية كمصدر منتج وحاضن للتطرف. ورغم سرية ذلك الشق من التقارير، فقد تسربت فقرات وعبارات ومواقف تندد بـ«نظام» المملكة وتدعو إلى دعم التغيير فيها. وقد نجم عن ذلك توتر في علاقات البلدين، ظلّت تأثيراته قائمة، رغم ما اتخذته قيادة المملكة من إجراءات بضبط الشرطة الدينية السعودية وبتقليل الإنفاق عليها وعلى المؤسسات التبشيرية، ورغم ما بذل من جهد لترطيب العلاقات بين البلدين، برئاسة محمد مرسى تدخل ساحة الوساطة

وبين الرئيس الأميركي والمملكة السعودية. لقد كانت قيادة المملكة السعودية تقف، كما ذكرنا، على رأس تحالف يضمها مع مصر إلى مجمل البلدان العربية، باستثناء، طبعاً، سوريا والجزائر وليبيا. وما هي الآن، تخسر ذلك التحالف والموقع، فيما ينشأ كتل جديد تلعب فيه تركيا دوراً أساسياً ويضمّ مصر «الإخوانية» وقطر، بشكل خاص. وهو تكتل مدعوم من دول عربية أخرى، وخصوصاً تلك التي أحرز فيها «الإخوان المسلمون» نجاحات ملموسة على مستوى السلطة، جزئياً أو كلياً. يحاول هذا التكتل الجديد، وتقريباً بدون مشاركة سعودية أخذ زمام المبادرة في ملفات عديدة: الملف السوري، والملف النووي الإيراني، والملف الفلسطيني بل هو يضع قيادة المملكة في الزاوية، أحياناً، إذ يحاول التعاطي مع إيران ومدّ جسور التعاون أو التفاعل معها، في بعض المسائل والمجالات. ويزيد في القلق السعودي، أيضاً، وأيضاً، أنه حتى في الموضوع الفلسطيني يجري تحجيم دور السعودية. وما هي إدارة «الإخوان» برئاسة محمد مرسى تدخل ساحة الوساطة

الزخار

تأسست عام 1953
تصدرت شركة «إخبار بيروت»

رئيس التحرير المؤسس
جوزف سلامة
(2006-2007)

مستشار مجلس التحرير
أنسي الحاج

رئيس التحرير، المدير المسؤول
إبراهيم المين

■ نائب رئيس التحرير: بيار ابي صعب ■ مدير التحرير: إيلي سلوم، وفيف، فانصوه ■ اقتصاد: محمد زبيب ■ محليات: حسن عليق ■ مجتمعي: هسي زراقت ■ عالم: حسام كفتاني ■ ثقافة وناس: امك الاندري

■ المدير الفني: إميل منعم ■ مدير الموضع الإلكتروني: منصور عزيز ■ رئيس مجلس الإدارة: إبراهيم الامين ■ الإدارة المالية: فادي خليك ■ الموارد البشرية: ريم اسماعيل

■ المكاتب: بيروت - فردان - شام جونا - سنتر كوهنورد - الطابق السادس ■ تليفون: 01759500 01759597 ■ ص.ب 5963/113 ■ www.al-akhbar.com

■ الاعلانات: Tree Ad 01/611115 03/252224 ■ التوزيع: شركة اللواتك 01/666314 03/828381